

حارة وهجمات معدنية بالقرب من نزل كنوبي وعنى ملاعب في شارع مونج. وما من متحف إلا وترى فيه محفوظاً إلى اليوم بعض بقايا المعابد واخاري والقسيفساء أو قبور اص رومانية.

أسباب الغارة

الجرمان - كان يسكن وراء فري الرين والدانوب (الطونة) في البلاد التي تتألف منها اليوم ألمانيا شعوب غير ممدنة كان الرومان يدعوهم الجرمانيين وكانوا كالثود والفرس والرومان واليونان شعوب من عصر آري نرحت في القديم من قارة آسيا وهم شعوب من الرعاة أصبحوا حراثين وشعوباً محاربين وكانوا ينقسمون إلى عدة قبائل (نحو أربعين) تحكم كل واحدة نفسها منفصلة عن الأخرى وكثيراً ما كانوا يناوشون بعضهم بعضاً الحرب.

وكان معظم المقاتلين من الجرمانيين لا يعتبرون إلا الحرب ويقول تاسيت أنهم كانوا كلما انقطعت شأفة الحروب من بينهم يقضون أوقاتهم في الصيد ويتخنون عن كل عمل إلا النوم والأكل. وكان أشجعهم وأشدهم شدة في القتال لا يتعاطون عدلاً يتركون العناية ببيوتهم وحقولهم للنساء والشيوخ والضعفاء وهم يعيشون كالمخدرين. وكان في كل شعب كثير من الناس جمعوا الحرب والغارة صناعتهم فجمعون حول محارب شريف أو مشهور ويخنفوا بأن يخلصوا له الخدمة وعنى هذه الصورة تتألف عصابة من الصحاب مخصصة لرعيم يعيشون في داره ويأكلون عنى مائدته يحفون به أيام الحرب ويفادون بأرواحهم في سبيل الدفاع عنه. وكانت تشتد حاجة هاته العصابة إلى الحرب فالرفاق ليسوا عن هذه الحياة المقصورة عنى الأكل والبطالة والرئيس ليقوم

بأود رجاله. وعندما يسود السلام في الشعب تصرف عصابات الخاربين تقاتل مع زعمائها في جيش أحد الشعوب أو يحاربون عني حسانهم وكانت الإمبراطورية الرومانية تستميلهم لنقيام هذه العنائل بعضهم يتهاون عني ولايات الحدود ينهبونها وآخرون يدخلون في خدمة الرومانيين يقاتلون المهاجمين من البرابرة وكثيراً ما يعودون مستعدين برواتهم أو غنائمهم ولكن لذت لكثير منهم عيشة التشرذ فلا يكادون يرجعون إلى مساقط رؤوسهم. وقد أدى هذا النظام إلى فناء جميع القبائل النازلة في التخوم فلم تخلص ثلاثة قرون إلا وقد زالت العصابات الرحالة ولم يبق حثالة من حثالات الشعوب حتى إذا جاء القرن الثالث ظهرت معاهدات تحت أسماء جديدة ليست أسماء شعوب وهي ثلاثة الألمان في الذراع الذي يتألف من نهر الرين والدانوب العني والفرنك عني الخرى الأسفل من نهر الرين والسكون معني طول بحر الشمال وكان لكل جماعة من تلك الجماعات الصغرى التي تكون منها تلك المعاهدات زعيم يسمى منكاً ومحارب في العادة عني نفقته.

إبدعراار السكان في الإمبراطورية الرومانية - جرى إذ ذاك في الإمبراطور الرومانية مثل ما جرى في جميع المجتمعات القديمة كإسبارطة ويونان وإيطاليا أي أنه قل عدد السكان واضحل الأحرار وخلفهم العبيد ولم يكن لهذا الشعب من العيد حظ من النسو بل كان إذ حدث كائن من الكوائن التي يكثر حدوثها في ذلك العهد من وباء وحرب وغارة يفنى زراع ذلك الصقع فتظل الأرض غير مأهولة ولم تلبث القرى عني التدرج ولاسينا جهات التخوم أن فرغت من الرجال ولم يبق سكان إلا في المدن وأصبحت عدة أصقاع أشبه بالقفار منها بالأرياف.

وبعد أن اجتازت بالبلاد جيوش المخربين العظمى في القرن الخامس (أمثال رادا كيز وأتيلا) حدث في البلاد فراغ استحال على الإمبراطور أن يملؤه ففي بلاد الغال وإسبانيا وإيطاليا بل في بلاد الغرب أجمع بار شطر كبير من الأراضي لقنة اليد العامنة وأصبحت الولايات الواقعة على التخوم مقفرة ولم يبق في كل البلاد التي يسبقها نهر الدانوب من سويسرا إلى البنقان ولا مدينة رومانية واحدة واضحل السكان حتى أنه منذ القرن الرابع لم يبق في جميع هذه البلاد إلا شعوب جرمانية أو سلافية وهكذا الحال في النجيين ولم يجد الفرنك فيها غير القفر.

انحطاط الجيش الروماني - دعت هذه البلاد المقفرة الناس إلى سكنها فكان البرابرة يحاولون على الدوام أن يدخلوها وكان من المهمل على الحكومة الرومانية أن تدفعهم عن البلاد كلما كان لها جيش في الجسنة ولكن آلت الحال في قنة الجند كما صارت في قنة المال بحيث كان من الصعب أبداً تجنيد العدد اللازم فاعتاد السكان عيش الدعة ولم يعودوا يهتمون أن يفادوا أنفسهم في الجيش فاضطرت الحكومة أن تطلب جنوداً من كبار أرباب الأملاك وهؤلاء يسوقون بعض المزارعين (المستعمرين) في أراضيهم فيأخذونهم بالقوة من وراء سكتهم ومحراثهم فلا يكون منهم إلا جندي سيء النظام فقد أصبح الجنودون في القرن الرابع من الضعف بحيث لا يستطيعون لبس اللرع واخذوا يعتاضون عن الخوذة بالقبعة.

ولذا كان القواد يؤثرون أن يستخدموا محاربين من البرابرة لهم يقانون في ساحة الوغى مستبئين وكان في الإمبراطور منذ عهد طويل جنود من الجرمان في خدمة الإمبراطور وفي آخر القرن الرابع اخذ الرومان يجندون عصايات برمتها يجعلونهم مع نساتهم وأولادهم في خدمتهم في أراض يعطونهم إياها ليأخذوا منها أرزاقهم وعنوفاتهم

وهؤلاء اخاربون الذين نزلوا في البلاد الرومانية كانوا يحتفظون بنسائهم وعاداتهم وأصول حروبهم وزعمائهم ولكنهم يحاربون في الجيش الروماني ويدعونهم الأجراء أو الخالفين وجاء القرن الخامس فتم يكن منهم عصابات فقط بل شعوب يرأسها الويزغوت والبورغوندا فاجتازوا الحدود بالقوة أحياناً فبدلاً من أن يقاتلوا الإمبراطور آثروا أن يكونوا في خدمته. فتألفت إذ ذاك جيوش رومانية من شعوب بربرية يقودها قواد منهم فقد رأينا الجيش الروماني الذي رد غارات أتيليا سنة ٤٥١ مؤلفاً من ألويزغوت والفرنك والبورغوندا وأتيوس القائد الروماني هو في الأصل كاتيليا نفسه.

أخلاق الغارة - كان في الإمبراطورية الرومانية أراض كثيرة وجند قليل وإذا كان البرابرة كنههم رجال حرب ويريدون أن يتسكروا أراض أخذوا يتسكرون تارة بالقوة والعداء وأخرى مقابل خدمة وفي صورة محالفين ودخول البرابرة إلى الإمبراطورية هو الذي نسيه غارة البرابرة (ويطلق الألمان عليه هجرة الشعوب) وهذه الغارة لم تحدث دفعة واحدة بل وصل الجرمانيون عصابة إثر عصابة وتاريخ العصابة الأولى سنة ٣٧٦ والعصابة الأخيرة وقعت سنة ٥٦٨ فدامت الحركة إذاً في الغرب زهاء قرنين وظلت من جهة الشرق خلال القرون الوسطى كنهها فتم يكن بذلك حرب ولا فتح ولم يؤلف الجرمانيون فينفاً بل كانوا غنى العكس يثرون السكان بعضهم غنى بعض بحيث استحقوا إعجاب كنية الرومان بعينهم. قال بول اوروز إننا نرى كل يوم أمة من هذه الأمم البربرية تبيد أمة أخرى ولقد شاهدنا جيوشين من الغوت يفتي أحدهما الآخر ولكن هذه الشعوب تتقاتل لتتوت وهنك. والظاهر أن الجرمانيين لم يهتوتوا الرومانيين بل كانوا يحاربون من أجلهم عن رضى دافعين غارات غيرهم من الجرمانيين أيضاً ولم يكن لهم مآرب في القضاء على الإمبراطورية بل كانوا يؤثرون أن يكونوا في خدمتها. قال

أتولف أحد ملوك الغوت أنه كان يطمع أولاً في إبادة الاسم الروماني وأن يؤسس من طول الراضي الرومانية وعرضها إمبراطورية يدعوها الغوتية يكون شأنه فيها شأن القيصر أغسطس وإذ وقع في نفسه أن الغوت لا يعرفون النظام والترتيب ليخضعوا لقوانين عقد العزم أن يفادي بقوى الغوت لتوطيد سلطة الرومان وزيادة نفوذهم فكان يطمع أن يكون مصنع الإمبراطورية بدون أن يكون لهم مترع سياسي بل مجرد أنهم كانوا يرجون أن تكون حالهم فيها أحسن من جرمانيا ولكن نشأت من نزولهم البلاد نتائج لم يتحدث بها أحد إذ ذلك.

البربرية - كان من أقرب النتائج أن تصبح الإمبراطورية إلى التوحش أقرب منها إلى المدنية فنضى زهاء قرن وعصابات مذبحة تطوف البلاد أنواع التطواف تحرق المدن وتحرب المصانع وتقتل الحراثين أو تسوقهم أمامها ولقد أبقي الوانداليون أخوف ذكرى حتى غدت لفظة وانداليسم تطلق للدلالة على التكالب في التخريب. وكان يقول الهونسي وهم شعب من فرسان التتار أن العشب لا ينبت البتة في التربة التي وطأها حوافر خيولهم. فقد خربت مدن كثيرة ولم تقم لها قائمة وبعضها تراجع عمرانها حتى غدا بمثابة دساكر حصينة فخربت دور التشيل والحمامات والمدارس وجميع المصانع الرومانية شيئاً فشيئاً واتخذ السكان في كثير من المدن أحجارها لبنوا به أسواراً وهناك أرباب الصناعات النفيسة فلم يبق سوى صناعات قليل عددهم لا يستطيعون أن يبنوا إلا مباني ليس عليها محفة من الذوق والجمال. واضحل كل ما يقال له يشاهد ومدارس وأدب وغدا سكان الإمبراطورية يشبهون البربر. قال أحد القيسن ممن كتبوا تاريخ ملوك الميرفيجين والسف أخذ منه كل مأخذ: لقد هرم العالم واشتت فينا

حاسة النكات البديعة فيما من امرئ لعهدنا تحدث نفسه أن يبلغ مستوى خطباء الزمن الماضي.

شعوب جديدة - قضى البربر في أوروبا على نظام الإمبراطورية الرومانية فجاءت سنة ٤٧٦ وليس في رومية إمبراطور وكل منك من منوك البربر سيد في الأرض التي نزلها قومه فانقسمت الإمبراطورية إلى عدة ممالك بربرية فنشأت في غاليا ممالك الفرنك والبورغوند وفي بريطانيا العظمى السبع ممالك من الإنكل والسكسون وفي إسبانيا مملكة ألبريغوت وفي أفريقية مملكة الواندال وفي إيطاليا مملكة الأوستروغوت ثم مملكة النومباردين وكثير من الممالك اضحنت ودخنت في مملكة مجاورة ولكنه نشأت في كل أمة مستقلة على الأقل لها حكومتها وصناعتها وآدابها.

أخلاق جديدة - انتهت أيام المدنية القديمة بدخول الجرمانين إلى الإمبراطورية وليس ذلك أن الجرمانين حملوا مدنية جديدة كالرومان إلى غاليا ولا أنهم اتخذوا العادات القديمة كما اتخذ الفرس عادات آسيا بل إهم أتوا ولهم عادات في الحياة والحومة تخالف ما ألفه الرومان فيما انخفض من بلاد الإمبراطورية.

فكر أن أرباب الأملاك من الرومان يعيشون في المدن عزلاً من الأسلحة خاضعين لنظام الإمبراطور أما الجرمانيون فقد ظلوا يحنون أسلحتهم ونزلوا القرى وكان كل واحد في حته جند من الخدمة المخلصين وكل امرئ سيد في أرضه لا يخضع البتة للحكومة وهم محافظون بعاداتهم الجرمانية من عدم أداء الضرائب وبذلك قضوا على نظام بيت المال وعلى الاستبداد الإمبراطوري ومن هؤلاء الخاربين القرويين خرج فيما بعد الفرسان الأشراف.

وكان أصحاب الملاك من الرومانيين يحرثون أراضيهم بواسطة جماعة من العبيد أما الجرمانيون فكانوا يعتمدون في استثمار أراضيهم على أناس من المستعمرين أي على مزارعين تناوبون حراستها بالإرث. فلم يظنوا العبودية من الإمبراطورية بل تركوا العبيد يصبحون بالتدريج خدمة ثم مزارعين يملكون الأرض التي يتوفرون على زراعتها. وعليه لم يأت البربر بعقائد ولا باختراعات جديدة بل جاؤوا بدلت حالة أرباب أملاك الأراضي والفلاحين وغيرت جميع قواعد الحكومة. فقارة البربر حادث عظيم في تاريخ المدينة لأنه جدد المجتمع والحكومة في أوروبا لكنه كما يحدث في التغييرات الكنية قضت الحال بمرور عدة قرون لإدراك نتائج ذلك التغيير.

كيف دان الجرمانيون بالنصرانية

الأرباب الجرمانيون - كان الجرمانيون كاليونان والرومان يبدون أرباباً كثيرين يخنونها في عبودية بشرية فالأرباب الجرمانيون يؤلفون أسرة بأسرها وعندهم أن وتان والد الجميع ورب الحروب محارب أعور يتقن رمحاً يخرق الهواء ولا يرى بل يركب على حصان أبيض وكان دونار أحد أبنائه ذا لحية حمراء وهو رب الرعد والعواصف ويسير في مركبة ويقذف المطرقة المخربة التي تعود إلى يده من تلقاء نفسها. وكان الرب تير أو ساكنوت رب السيف والمغازي وفيرير على العكس هو الرب الجنيل المسالم النظيف ينصح المزروعات ويشفي الأمراض وبالدير رب الحكمة والعدل والصلاح يتولى نصح سائر الأرباب. وهناك ربان مثل الربة مريغا امرأة الرب وتان وهي قاسية محترمة تتراأس حفلات الزواج والربة فريا وهي فتاة بارعة الجنال لطيفة الشكل يسر مرآها الأرباب. وكانت هذه الأسرة السنأوية تسكن قاعة عنوية اسمها ألواهالا حوانطها ذهب وسقوفها فضة ويربط تلك العلية بالأرض التي يسكنها البشر جسر وهو قوس قزح

الذي يجتاز عنده الأرباب ويجنس الرب وتان في هذه القاعة عنى منصة من ذهب يحف به من الأرباب ذكورهم وإناثهم أولوالكنور وهم مرسلات سماويات وبنات الحروب والغارات مسنحات بالتروس والرماح راكبات عنى خيول مطهنة قاصدات إلى ساحة الوغى ينتقلوا من قضا فيها وهم يحاربون ويأتين بمن إلى قاعة ألوالهالا حيث ينالون مكافأة عن شجاعتهم وهناك يعيشون بالقرب من الأرباب في المآدب التي يأدها الربيات المعروفات باسم والكنور يسقينهم شراب العسل والجمعة.

ونحو الشمال من أعماق الأرض جهنم مظنة يكثر زمهيريها اسمها نيفليم أي مسكن الضباب وفيها يترن رب الشر ويدعى لوكي مع ولديه فتريس الذب المفترس وهولا ربة الموت التي يمثلونها بان نصفها أسود تأكل في صفحة الجوع ولا تترك ما تتناوله بته. وإلى هذا المسكن الهائل يذهب الحاربون الأشجار الذين تساهموا بأن تجرعوا كأس الحناب بسبب مرض أو شيخوخة. وغلب الرب وتان الرب لوكي وربطه إلى ثلاث صخرات ذات زوايا مع حية تقطر سمها عنى رأسه ولكنه يرجى له الخلاص ذات يوم ويأتي مع الجن والشياطين الشريرة عنى سفينة بنيت بأظافر الموتى يهاجم الأرباب الساكنين في ألوالهالا وبذلك تسقط الشجرة الكبرى التي تمسك العالم من السقوط ويحترق قصر ألوالهالا ويغلب الأرباب عنى أمرهم وهذا ما يسنونه عندهم شفق الأرباب ثم تتجنى أرض أحسن من تلك تخرج من البحر الخيط مع أرباب جدد.

العبادة - لم يكن للجرمانيين أصنام ولا شادوا لهم معابد لهم بل كانوا يعبدون أربابهم عنى الجبال أو في الغابات بالقرب من شجرة أو عين مقدسة وكان رأس كل أسرة يقيم باسمه الصنوات ويقدم القرابين ولم يكن عندهم كهنة جرمانيون في جرمانيا نفسها الماندرا حتى أن العصابت التي دخلت منهم إلى الإمبراطورية الرومانية لم تصحب معها

أحدًا منهم. ودين مبهم إلى هذا النحو لا يهتم أحد للدفاع عنه فلم يكن من شأنه أن يقاوم طويلاً ولذا كان الجرمانيون عندما داهموا الإمبراطورية ومستعدين لأن يدينوا بالنصرانية.

البرابرة الآريون - لما نزل برابرة الشمال الأرض الرومانية دانوا إلا قليلاً بالكشكة بل بشيعة الآريوسية فد كان الوزيغوثيون في إسبانيا والسترغوثيون في إيطاليا والبورغونديون في غاليا والوانداليون في أفريقية بل والنومبارديون الذين أتوا في القرن السادس كنهم من المذهب الآريوسي. والظاهر أن الجرمانين صعب عليهم أن يقبلوا بالرمز الذي جرى التواطؤ عليه في مجمع نيقية وربما كرهوا التصديق بأن الابن مساوٍ للاب. وكان رعاياهم الرومان أرثوذكسين في مذهبهم وقد أدى هذا الاختلاف في الدين مدة تزيد عن قرون إلى حروب واضطهادات وكثيراً ما كان أحد منوك البرابرة يأبى تعيين الأساقفة الأرثوذكس وقد بقي كرسي قرطاجنة خالياً مدة أربع وعشرين سنة لم يكف جزيك منذ الواندال بنفي الأساقفة بل رأى أن ينفذ عنى رعاياه الكاثوليك الأوامر التي كان طبقها الإمبراطرة عنى الملاحدة ومع هذا كبت الكثرة لكشكة عنى المذاهب النصرانية الأخرى ودان بها بالتدريج المنوك الآريوسيون وتمذهب بها شعوبهم فاتحل البورغونديون هذا المذهب في أوائل القرن السادس واتحدت الوزيغوثيون الإسبانيون في سنة ٥٨٩ والنومبارديون في أواسط القرن السابع أما سائر الممالك فقد خربتها جيوش الإمبراطور يوستينيانوس.

انتحل الفرنك (الإفرونج أو الفرنك أو الإفرونج) للنصرانية - بقي الفرنك الذين نزلوا غاليا من الشمال عنى وثيتهم. وقد فضل الأساقفة الأرثوذكسيون هؤلاء الوثنيين الذين كانوا يؤمنون بتصيرهم بدلاً من البرابرة المسيحيين الذين ظنوا عنى أريوميتهم

ورضي أحد زعماء العصابات الفرنكية واسمه كنوفيس أن يتعد على يد أسقف ريمس
 القديس ريمي فحذا حذوه ثلاثة آلاف رجل ولم يثبت زعيم العصبة هذا وقد عضده
 رجال الكهنوت الكاثوليكي أن أصبح وحده منذ غالبا كنها ومنذ ذلك العهد أصبح
 جمع منوك الفرنك من نسل كنوفيس مسيحيين وعضدوا الكنيسة الأرثوذكسية وكان
 ذلك من جملة الأسباب في نجاحهم أما أمة الفرنك فقد أبطت في انتحالها هذا الدين
 فظل كثير من اغاربين زمناً طويلاً نغنى وثبتهم ومنهم من كان من حاشية الملك. وفي
 أواسط القرن السادس عمادفت الملكة رادغوند وهي مريحة غيرة على الطرق العامة
 جناتر وثنية فأمرت اغاربين من أهل موكبها أن يأتوا عندها فقام الفرنك بسوفهم
 وعصيتهم. ومضى زهاء قرنين أي من القرن السادس إلى السابع حتى غدا القرنك كنهم
 مسيحين.

قاعدة القديس بنوا - أنشئت في إيطاليا وإسبانيا وغاليا أخويات قيين ولكت
 العيشة التي يعيشونها في هذه الديار من بلاد الغرب لم تشبه عيشة النساك في ثبة وفي
 أواخر القرن الخامس انقطع أحد أشرف الإيطاليين واسمه بنوا (٤٨٠ - ٥٤٣) إلى
 جبل كاسين في بلاد نابولي وذلك بعد أن عاش بضع سنين متمكاً في غار وسط
 الصخور وكان ثمة معبد وغابة على اسم أبولون فنصر بنوا فلاحي ذلك الجوار وأمرهم
 بأن يخربوا ذلك المعبد وأقام بدلاً منه كبتين وديراً عظيماً وغدا بنوا رئيس أخوية
 كبرى وانشأ نظاماً طويلاً لقسيسه قاضياً عليهم أن يتخلوا عن الدنيا وعن الأسرة
 والملك وأن لا يذكرها شيئاً لأنفسهم حتى ولو الصفائح (المقورات) والمناقش التي
 يكتبون بها وأن ينسوا كساء من الصوف الخشن أو مسوحاً ذات قبعات (أسكيم)
 كان ينسها الفلاحون وأن يحضروا بدون تردد كل ما يصدر عن الرئيس من الأوامر

قال القديس بنوا في المدخل: اسمعوا أيها الأبناء أوامر الرب ولا تخافوا من الاثتمار بأمر أب صالح والعقل به وذلك حتى يقودكم الخضوع التام إلى ما أبعدكم عنه العقوق والكسل. وقد سمي الدير مدرسة العبودية الإلهية وفي ذلك لم يأت القديس بنوا شيئاً سوى الجري عني مثال رهبان المشرق ولكنه يختلف عنهم في كيفية استعمال الوقت فبدلاً من التأمل وأعمال النمك أمر بالعمل قائلاً أن الكسل عدو الروح وعني الجملة فإن حياة الراهب داخلة تحت القاعدة ساعة فساعة فعليه أن يعمل كل يوم بيديه سبع ساعات ويقرأ ساعتين وينقسم اليوم إلى سبعة قداديس يبدأ الأول منها في الساعة الثانية ليلاً. وإذا أراد رجل أن يدخل في هذه الطائفة يدخل فيها عني ميل التجربة مبتدئاً وبعد شهرين تتلى عني مسامحة قاعدة: هذا هو القانون الذي يجب عليك أن تقاتل تحت لوائه فإن كنت في مكة من الاحتفاظ به فادخل وغلا فأنت حر أن تذهب من هنا بسلام. وبعد سنة يوقع عني عهد يضعه عني المذبح بحضور جميع القسيسين ثم يركع أمام كل واحد منهم عني حدثه ومنذ ذلك اليوم يوقن بأنه لم يعد يملك شيئاً حتى ولا جسده. ولم تلبث أن أصبحت قاعدة القديس بنوا قاعدة عامة عني رهبان الغرب اتخذتها جميع الأديار القديمة وعنيها أنشئت جميع الأديار الجديدة وأصبح بعد حين عامة رهبان الغرب من البندكتيين.

الرهبان البندكتيون - عاد قسم من بلاد غاليا وإيطاليا في القرن السادس فأصبح خراباً يباباً وغشت الغابات العظيمة البلاد فدخل الرهبان الذين يحبون العزلة تلك القفار وبين العوسج والشوك يقيمون لهم معبداً وبعض الأكواخ ثم يأخذون بإحياء موات الأراضي الجاورة وكثيراً ما يعطيهم أحد الملوك أو الكونتية أو أرباب الأملاك بقعة واسعة (إذ كانت قيمة الأرض رخيصة إذ ذاك) فيؤسسون ديراً جديداً. ولقد كان الرهبان

ينشون الأهرام وفرنًا ومطحنةً ومخبزاً ويحرثون الأرض ويصنعون الألبسة ويعملون
حجار الطاحون والصناعات النفيسة وينسخون المخطوطات فكانت أديارهم حقولاً
أثوذجية كما هي معمل وحرانة كتب ومدرسة وتتألف من العبيد والمزارعين في
أصقاعهم قرية كبرى هكذا نشأت في فرنسا مئات من المدن حول الأديار وكثير من
المدن سميت باسم القديس رئيس ديرها الأول (سان أوجر سان كلود رسيرون)
وأنشئت ألوف من الكنائس الخورنية على يد بعض أديار البندكتيين.

تصر الإنكليز الكسوفين - يروى أن القديس غريغوريوس رأى قبل أن يصبح بابا
وهو في سوق العبيد في رومية أولاداً شقراً يمس البثرة يباعون فسأل من أين أتى بهم
فأجيب بأنهم آنكل فقال: لقد دعوا بأجل النساء فهم حقاً ملائكة فهل هم ميحون؟
فقليل له أهم وتنبون بعد. فأجاب هل من الممكن أن تحتوي هذه الجهات الجميلة ذكاء
محروماً من نعمة المولى. ومنذ ذلك الحين رأى أن يصر الإنكليز فلما عدا بابا بعث
أربعين قسيساً يقودهم أعطينوس إلى أحد منوك بلادهم فوصل المرسلون يحملون
لوحة رسم عليها المسيح فجمع الملك مجلس العظماء وسألهم فيما إذا كان يقتضي قبول
الدين الجديد فوقف أحد الرعناء في المجلس فقال: ربما ذكرت شيئاً أيها الملك يحدث
أحياناً في فمار الشتاء عندما تكون جالساً إلى منضدة مع مقاتلتك ونارك موقدة
وغرفتك دافئة والسماء قطر وتتنح والريح زعزع في الخارج وبيننا أنت كذلك يطير
طائر صغير فيجتاز الغرفة داخلاً من باب وخارجاً من آخر وهذه اللحظة التي يقضيها
الطائر وهو داخل الغرفة تحلو له فلا يشعر قط بالمطر ولا يبرد الشتاء ولكن هذه
اللمحة قصيرة لأن الطائر لا يبت أن يهرب ويعود إلى الشتاء الذي كان فيه وعنى
هذه المثال أرى حياة الناس في الأرض بالنسبة للوقت غير المؤكد الذي يمر في الآخرة

فظاهر أن الحياة قصيرة ولكن أي وقت يجيء بعدها وأي وقت مضى قبها هذا أمر نجهد فإذا كان هذا الدين الجديد يفيدنا في ذلك أموراً أكد فهي جدرة بأن تتحل ويدان بها وكانت النصرانية تروق هؤلاء البرابرة الجديدين لأنها تحدثهم عن اليوم الآخر. وقد نصح البابا المرسنين المسيحيين أن لا يناقضوا المعتقدات القديمة قاتلاً يجب الاحتراز من تخريب معابد الأوثان بل الواجب تطهيرها وتخصيصها بعبادة الإله الحقيقي لن الأمة كنا رأنا أماكن عبادتها القديمة باقية تكون أكثر استعداداً إلى الاختلاف إليها للألف والعادة فقد اعتاد رجال هذه الأمة أن يذبحوا البقر ضحايا فالواجب أن يدلوا هذه العبادة بزياح مسيحي دعوهم ينشئون أكواخاً من أوراق الشجر حول معابدهم المحولة كنائس يجتمعون فيها ويقودون إليها حيواناتهم التي يذبحونها لا غنى سبل ضحايا لنشيطين بل غنى سبل الله تعالى. ولم يضطهد الإنكليز السكسونيين المرسنين المسيحيين غنى أنهم لم يتصرفوا إلا ببطء فهناك كان المنوك ولاسيما المنكات تحمي الديانة الجديدة كنا هي الحال في غالباً ولكن الخاربيين لم يهتروا لقبولها.

المرسنون الأيرلنديون - دانت إيرلاندا بالنصرانية منذ القرن الخامس وكانت إذ ذاك مشهورة بأديارها العديدة وحمية كنائسها الدينية فكانت تنقب بجزيرة القديسين فسافر مرسنون من أديار إيرلندا ونصروا جميع برابرة بريطانيا العظمى فالتقوا إذ ذاك بالمرسنين القادمين من رومية. وكان لكيمة إيرلندا ومؤسوها مسيحيون من أهل آسيا بعض عادات شرقية فتحفل بعيد الفصح مثلاً في غير الوقت الذي تحفل فيه كنيمة رومية واصطنحت غنى وضع إككيل الإكنيروس غنى مقدم الرأس بدلاً من الإككيل غنى صورة تاج. وهذه الاختلافات في الصورة دعت إلى اشتداد الاعتراف بين المرسنين الأيرلنديين والمرسنين الرومانيين فيحضر البرابرة نزاعهم بحسب ما لكانتهم من المكانة

وإليك ما ذكره أحد الكتاب الأرثوذكس من نزاع عظيم وقع في وتي سنة ٦٤٤ بحضور جميع مجلس الشعب. صرح كولان الأيرلندي بأن مواطنيه لا يستطيعون أن يغيروا طريقتهم احتفالهم بعيد الفصح لأن ذلك مما ألفه آباؤهم فأجابد وينفريد الكوي: إننا نحفل بعيد الفصح كما رأيناه بمخل بد في رومية حيث عاش الرسولان بولس وبطرس وكذلك في غاليا وجميع الإمبراطورية والبروتون فقط يعاندون في مشاكسة بقية العالم وبعد فهل في المكنة أن يفضل أبوك كولومبا على قدسية فيه على السعيد أمير الحواريين الذي قال وله سيدنا يسوع: إنك بطرس (ومعنى بطرس الحجر) وبتك يا حجر أبنى كيتي وأدفع إليك مفاتيح منكوت السنوات - فسأل المنك حينئذ ذلك الأيرلندي قائلاً: أمحقق أن هذه الكلمات قاطها سيدنا المسيح للقديس بطرس؟ - نعم صحيح ذلك - هل في وسعتك أن تبرز لي حجة في مثل حجة كولومبا؟ - لا أستطيع - أنتم على وفاق بأن مفاتيح السنوات أعطيت لبطرس - نعم - إذن هو بواب السماء ولا أريد أن أنازع في قوله بل احجب أن أخضع له في كل أمر مخالفة إلا أجد أحداً يفتح لي أبواب منكوت السنوات عندما أصل إليها.

وهذه الحجة كانت بحسب درجة ذكاء البربري فاستحسن المجلس الخطاب وعزم أن يقبل في المنكوة بأسرها العادات الرومانية وانتهت الحال بغلبة الرومانيين (في أوائل القرن الثامن) ومنذ ذلك الحين خضعت لنبايا كنيسة بريطانيا العظمى بأجمعها.

تنصر الجرمانيين في ألمانيا - كان يتألف من الجرمانيين الذين تخلفوا في ألمانيا عدة أمم كنها وثنية في القرن السادس وبدأ قيسون إيرلنديون بتصرهم فسكن القس غال بين السواب بالقرب من بحيرة كوستانس في المكان الذي أنشئت فيه البيعة التي نسبت إليه. ونصر كيبان الفرنكونيين في بلاد ميين ثم استشهد وتمكن القديس ولفران من عزم دون

دي فريزون رادبود عني تعييده وبينما كان الدوق يدخل إلى القبو سأل أين بقي
أجداده فقيل له أنهم في جهنم فقال أنا أريد أن أصبح ميحياً حتى لا أنفصل عن
أجدادي. وامتحق وينفريد من الإنكليز السكسونيين المنقب بيونيفاس المنقب برسول
الجرمان إذ أرسله البابا إلى إنكترا كنا أرسل أوغستينيس يحمل هذه الرسالة: رغبتنا في
أن تتصروا معنا بالأبدية فبعثنا إليكم بونيغاساً يعمدكم ويعنكم إيمان الرب فأطيعوه في
كل ما يأمر ووقروه كنا توقروا أباً وسمعوا مواعظه ثم أن بونيغاساً أوصى به شارل
مارتن زعيم الفرك زعماء الجرمانيين وبفضل هذه المعاضدة تمكن من الدخول في قنب
ألمانيا وعقد اجتماعات وفوض الأشجار المقدسة ومنع عبادة الأصنام وبذلك تيسر له
أن ينصر شطراً من الزعماء والشعب في بافيرا وتورينغ وهس ثم سكن في المايانز منقباً
برئيس الأساقفة.

وقد بقي السكسون شعباً وثياً في بلاد ويزر (فيستاليا وهانوفر) وبعد حروب دموية
اضطر شارلمان زعماءه أن يعهدوا ثم أسكن أساقفة وقسيسين في جميع البلاد ثم أفضل
عليهم بما يمنع عنهم الحاجة وقضى بأن يقتل كل كوفي يعبد أربابه القديسين أو يعزل
القيام بالصيام الذي شرعته الكيسة فنن ثم أصبحت ألمانيا كلها مسيحية وهدت
كإنكترا متعفة برومية وخاضعة للبابا وأرسلت ألمانيا أيضاً مرسلين ذهبوا فنصروا
الوثنيين في بلاد اسكندنافيا ومقاتلين راحوا لتبديد شمل الوثنيين من السلافين أيضاً.

الإسلام

دين العرب الأول - انتهت تحوم المنكة الرومانية في الشرق عند رمال بلاد العرب
فظل هذا الشعب مستقلاً بربرياً منقسماً إلى عدة قبائل وكان لسكان الساحل من
العرب بعض مدن صغرى تعرف بالزراعة وتبعث بقوافلها إلى العرب تحمل إليهم البن

والبخور والتبر ويطوف سكان الداخية القفر بمواشيهم منحني راكبي صهوات
خيولهم نصفهم رعاة والنصف الآخر قطاع طريق (كما هي عيثة البدو إلى اليوم)
ويقتل العرب فقتل القبيلة ولكن يعتبرون أنفسهم بأجمعهم من عنصر واحد وهو
كالإسرائيليين من العنصر الذي نسيه العصر السامي ويمتاز عن آربي الهند وأوربية
امتيازاً ظاهراً بلغته ودينه. ولقد كانت العرب كلها تعبد إلهاً قادراً خارقاً وهو الله تعالى
ولكنها تعبد لنجن خاصة وهي أرواح لا ترى وكان لكل قبيلة إله خاص تعبده في
صورة نجم أو حجر أو صنم ولكنهم كلهم يرجعون في عبادتهم إلى الكعبة في مكة وهي
البيت المشرق غني تعظيمه عندهم والكعبة معبد غني صورة الكعب أو زهر الرد
حواطها من حجر غير نحيث مغطاة بأقمشة من الصوف ويحفظون فيها الحجر الأسود
المشهور اخترم عند العرب اجمع (وهو قطعة من حجر بركاني تحت اليوم إلى اثني
عشرة قطعة (كذا)) وقد وضعت كل قبيلة في الكعبة صنماً هاماً بها ويقال أنه كان
تفيه ٣٦٠ صنماً ومنها صنم لإبراهيم وصورة العذراء مع ابنها يسوع وأنشئت قريش
مدينة مكة الصغرى حوالي القرن الخامس في الوادي الضيق الذي تحيط به الصخور
القاحلة محيطة بالكعبة ويقام بها كل سنة سوق وأعياد يتنافس بها الشعراء وتبطل في
خلال ذلك الحروب فمكة كانت هي المدينة المقدسة التي يحج إليها الناس من أقطار
بلاد العرب كافة.

محمد (عنه الصلاة والسلام)

ولد محمد في قبيلة قريش المقلمة وهم سادة مكة وسادة الكعبة المقدسة بين سنتي
(٥٦٩ - ٥٧١) وعاش وهو اليتيم الفقير إلى سن الأربعين لا شأن له. وكان رجلاً
جباناً سوداوياً تتابده عوارض من الحسى ونوبات عصية وكان حفيماً أي كافراً بعبادات